تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج ا أضغانهم } أي أيعتقد المنافقون أن ا لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل ا تعالى في ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة والأضغان : جمع ضغن وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره وقوله تعالى : { ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم } يقول D ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للأمور على ظاهر السلامة وردا للسرائر إلى عالمها { ولتعرفنهم في لحن القول } أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان Bه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها ا على صفحات وجهه وفلتات لسانه .

وفي الحديث [ما أسر أحد سريرة إلا كساه ا تعالى جلبابها إن خيرا فخير وإن شرا فشر] وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته ههنا وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة عن عياض بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو Bه قال : خطبنا رسول ا صلى ا عليه وسلّم خطبة فحمد ا تعالى وأثنى عليه ثم قال : [إن منكم منافقين فمن سميت فليقم ـ ثم قال ـ قم يا فلان قم يا فلان قم يا فلان ـ حتى سمى ستة وثلاثين رجلا ثم قال ـ إن فيكم أو منكم ـ منافقين فاتقوا ا] قال فمر عمر عليه ا صلى ا رسول قال بما فحدثه ؟ مالك : فقال يعرفه كان قد مقنع سمى ممن برجل Bه وسلّم فقال : بعدا لك سائر اليوم وقوله D : { ولنبلونكم } أي لنختبرنكم بالأوامر والنواهي { حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم } وليس في تقدم علم ا تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس لنرى أي لنعلم إلا : هذا مثل في هماB